لحظة التفرس في الوجه .. يكون الاختبار !

قصة بقلم أمين صالح

١ ـ اللحظة

كنقطة مضيئة في برج مدينة مظلمة وبعيدة . كوشم اخضر على ذراع امرأة بيضاء عارية . تكون اللحظة . وافقا ملصقا بالجدار كان كالألف . كألف اللغة العربية كان ـ هكذا تخيلته ـ ليس كالمسيح المصلوب كما تقول التوراة والانجيل . صبي ملصق بالجدار. شعره اسود غزير كان . (عزيزي القارىء المتفرج المشارك المتعاطف الصابر . هل رأيت فزاعة من النوع الذي يرهبون بها الطيورفي الحقول ؟) كان الصبي فزاعة يرهبون به الجنود الذين انتشروا في ارجاء المدينة باقنعتهم المضادة للغازات السامة وبنادقهم المحشوة بالرصاص والقنابل . والصبي كالألف . الجنود طلبوا الاذن من السلطات العليا لازالة الالف .. اقصد (عزيزي ..) الصبي . وحتى يصدر التصريح ، اخذ الجنود يتفرسون في وجه كل شخص يمر ، برعب وذهول .

٢ ـ التفرس

برعب وذهول .

هذا زمن التفرس والافتراس . العينان اللتان كانتا نورا وناراً، الان يمضغهما احد آكلي لحوم البشر .

ـ قف يا ابن الجارية .

امي كانت جارية . اعترف، واعرف انها لم تكن كسواها من جاريات الخليفة النجسات . ثم يضاجعها أمير أو تاجر او خبير دولي في البترول اعرف . كان المدعو ابي هو اتوحيد الذي ضاجعها ومات بين فخذيها اعرف . قصة ابي طويلة ، ساختصرها لضيق المجال . كان قرصانا أو هكذا كان حكام الولايات يدعونه (الا ترون انه من الضروري الان ان نعيد النظر في التاريخ ؟) طاردوه كثيرا ، وعندما اجتاز النهر الكبير ، وجد أمي . كان عطشانا وكانت امي عذراء .

ـ عيناك لذيذتان وشهيتي مفتوحة لانتهام الثورك والذراع والمخ. هذا زمن التفرس والافتراس .

تركت جوادي عند باب قصر الخليفة ترجلت . اعترض حارس طريقي اوقفني . جئت اشكو الخليفة ظلم الوالي . قلت . اجابني انت موقوف ولدي أمر بقتلك او نفيك الى عصر اخر (ملامح الوجه تتوقف على علامات التعجب . لا توجد علامة . اذن يتسطح الوجه وتختفي الملامح) قلت . دون ان يقرأ الخليفة شكواي ؟ قال : دون .. واجتزنا بوابات المدن الكبيرة الصغيرة ، وجدنا كل رجل يصحبه حارس . كل امرأة يصحبها حارس . كل طفل يصحبه حارس ،دخلنا رحم المدينة الاخيرة المجهضة بالاف العبيد المكبلين بالقيود . اشترينا ثيابا غريبة الشكل والحجم قال عنها الحارس انها تناسب العصر الذي نحن فيه (قلت من قبل ان ملامح الوجه .. الخ الخ) وفكرت . هذا يعني ان شكواي كذلك تناسب هذا العصر .

آ ا ا آه . هذا زمن ..... يختبىء فيه كل من يطمح الى أن يكون حرا .

٣ ـ الاختباء

كان السوق تابوتا . وكان الطفل جثة كبيرة .
الطفل مسجى بين ذراعي المرأة مبقور البطن . الدم مبثوث على شكل مستنقعات . المرأة تتمتم بشفتين باردتين : جثة طفل للبيع .

يقول الطفل وهو مغمض العينين : اما من مشتر ؟
تقول المرأة لا .
ـ الشجاعة نادرة في هذا الزمان ؟
ـ ضربة سيف ويتحول المشتري الى سلعة .
ـ لنبحث عن مكان آخر .
ـ سنبحث .

تنهض المرأة والطفل ما زال بين ذراعيها ، يتساقط الدم كرذاذ مطر . وقبل ان يخرجا من باب السوق يدخل الجنود ، يقرأ جندي منشورا مذكورا فيه ان مرسوما صدر الان يقضي برمي الجثث والنفايات في الصحراء حتى تتخلص المدينة من الروائح الكريهة الضارة بالصحة والتي تجلب الذباب والطاعون .

يقول الطفل دون ان يفتح عينيه : ما الذي يجري الان ؟
تقول المرأة : سيرمونك في الصحراء .
ـ ولكننا قررنا ان نبحث عن مكان آخر ؟
ـ انت الحنجرة التي يشتاق اليها السيف ، هنا او في اي مكان آخر .
ـ سأهرب واختبىء في مكان ما حتى أجد من يشتريني .
ـ كيف ؟
ـ ستريـن .

كدس الجنود الجثث في عربة . سارت العربة . سارت المرأة في اتجاه آخر . وفي الصحراء اكتشف الجنود اختفاء جثة الطفل . فصدر مرسوم آخر .

البحريـن

امين صالح